وتاهلت لاخراج النبات وربت اي ارتفعت وذلك اول ما يظهر منها للعين
وزادت ونمت بما يخرج منها من النبات الناشئ عن التراب والما، وقوله تعالى
وانبتت مجاز لان الله تعالى هو المنبت واضيف الى الارض توسعا اي انبتت
بتقديرنا لا انها المنبتة من كل زوج اي صنف بهيج اي حسن نضير من
اشتات النبات في اختلاف الوانها وطعومها وروايحها واشكالها ومنافعها
ومقاديرها قال الجلال المحلي من زائده ولم ار من ذكر ذلك من المفسرين
تنبيه في الاية اشارة الى ان النبات كما يتوجه من نقص الى كمال فكذلك الانسان
المومن يترقى من نقص الى كمال ففي المعاد يصل الى كماله الذي اعد له من البقا
والغنى والعلم والصفا والخلود في دار السلام مبرا عن عوارض هذا العالم ولما
قررت بحا هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب والنتيجة وذكر امورا
خمسة احدها قوله تعالى ذلك اي المذكور من بدء الخلق الى احيا الارض
بان اي بسبب ان تعلموا ان الله هو الجامع لاوصاف الكمال الحق اي وحده
اي الثابت الدايم وما سواه فان ثانيها قوله تعالى وانه يحيي الموتى اي
قادر على ذلك والا لما احيى النطفة والارض الميتة ثالثها قوله تعالى
وانه على كل شي من الخلق وغيره قدير انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن
فيكون رابعها قوله تعالى وان الساعة التي تقدم ذكرها ونقادم التحذير منها
وهي حشر الخلايق كلهم اتية لا ريب اي لا شك فيها اي بوجه من الوجوه
مما دل عليها مما لا سبيل الى انكاره بقول من لا مرد لقوله وهو حكيم لا يخلف
ميعاده ولا يسوغ بوجه ان يترك عباده بغير حساب خامسها قوله تعالى
وان الله يبعث بالاحيا من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل
الخلف وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد ونزل في ابي
جهل بن هشام كما قاله ابن عباس ومن الناس من يجادل اي بغاية جهده
في الله اي في قدرته وما يجمعه هذا الاسم الشريف من صفاته بعد هذا
البيان الذي لا مثل له ولا خفاء فيه بغير علم اتاه عن الله تعالى على لسان
احد من اصطفاه اعم من ان يكون كتابا او غيره ولا هدى ارشده اليه اعم من
كونه بضرورة او استدلال ولا كتاب منير له نور منه صح لديه انه من
الله تعالى ومن المعلوم انه بانتفا هذه الثلاثة لا يكون جداله الا بالباطل
وقيل قوله تعالى ومن الناس كرر كما كرر ساير الاقاصيص وقيل الاول في
المقلدين وقوله تعالى ثاني عطفه حال لاوي عنقه تكبرا عن الايمان
كما قال تعالى واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا والعطف في الاصل
الجانب عن يمين او شمال وقوله تعالى ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرا
ابن كثير وابو عمرو بفتح اليا والباقون بضمها فان قيل على قراة الضم ما كان
غرضه في جداله الضلال لغيره عن سبيل الله فكيف علل به وما كان

بجي

على قراة الفتح مهتديا حتى اذا جادل خرج بالجدال عن الهدى الى الضلال اجيب
عن الاول بان جداله لما ادى الى الضلال جعل كانه غرضه وعن الثاني بان الهدى
لما كان معرضا فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال الباطل جعله مرخجا الخارج
من الهدى الى الضلالة ولما ذكر فعله وثمرته ذكر ما اعد له عليه في الدنيا
بقوله تعالى له في الدنيا خزي اي اهانة وذل وان طال من استدراجه بتنعيمه
حق على الله ان لا يرتفع شي في الدنيا الا وضعه وما اعد له في الاخرة بقوله تعالى
ونذيقه يوم القيمة الذي يجمع فيه الخلايق بالاحيا بعد الموت عذاب
الحريق اي الاحراق بالنار وعن الحسن قال بلغني ان احدهم يحرق في اليوم سبعين
الف مرة ويقال له حقيقة او مجازا ذلك اي العذاب العظيم بما قدمت يداك اي
بعملك ولكن جرت عادة العرب ان تضيف الاعمال الى اليد لانها الة اكثر العمل واضافة
الى ما يودي اليهما اكثر وان اي وبسبب ان الله ليس بظلام اي بذي ظلم ما
للعبيد وانما هو مجاز لهم على اعمالهم او ان المبالغة لكثرة العبيد
ونزل في قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم
فكان احدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت
امراته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد اصبت به خيرا واطمان
له وان كان بخلافه قال ما اصبت الا شرا فينقلب عن دينه ومن الناس
من يعبد الله اي يعمل على سبيل الاستمرار والتجدد بما امر الله به من
طاعته على حرف فهو متزلزل كتزلزل من يكون على حرف شفير او جبل او غيره
لا استقرار له وكالذي على طرف من العسكر فان راى غنيمة استمر وان فهم
خوفا طار وفر وذلك معنى قوله تعالى فان اصابه خير اي من الدنيا اطمان
به اي بسببه وثبت على ما هو عليه وان اصابته فتنة اي محنة وسقم
في نفسه وماله انقلب على وجهه اي رجع الى الكفر وعن ابي سعيد الخدري
ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصايب فتشاءم بالاسلام فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت
ولما كان انقلابه هذا مفسدا لدنياه ولاخرته قال تعالى خسر الدنيا
بفوات ما امله منها ويكون ذلك سبب التغيير عليه قال تعالى ولو انهم
اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم وروي ان الرجل ليحرم الرزق بذنب يصيبه
والاخرة بالكفر ثم عظم مصيبته بقوله تعالى ذلك اي الامر العظيم
هو اي لا غيره الخسران المبين اي البين اذ لا خسران مثله بين هذا
الخسران الذي رده على ما كان فيه قبل الايمان الحرمي بقوله تعالى يدعو اي
يعبد حقيقة او مجازا من دون الله اي غيره من الصنم ما لا يضره ان لم
يعبده وما لا ينفعه ان عبده ذلك اي الدعا هو الضلال البعيد عن الحق

Copyright King Saud University